﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: 3]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الرَّبطُ بين تكليفِ المُرسَلِ بالإنذارِ والتَّذكيرِ، وأمرِ الأمَّةِ بالانصياعِ والاتِّباعِ

يقول الرَّازيُّ: اعلمْ أنَّ أمرَ الرِّسالةِ، إنَّما يَتِمُّ بالمُرسِلِ: وهو اللَّهُ ﷻ، والمُرسَلِ: وهو الرَّسولُ، والمُرسَلِ إليه وهو الأُمَّة، فلمَّا أمرَ في الآيةِ الأولى الرَّسولَ بالتَّبليغِ والإنذارِ مع قلبٍ قويٍّ وعزمٍ صحيح؛ أمرَ المُرسَلَ إليه – وهمُ الأُمَّةُ – بمتابعةِ الرَّسولِ، فقال: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[1]، "ولا تتَّبِعوا من دونهِ أولياءَ، تستجيبونَ لهُم، وتستعينونَ بهِم، إنَّكم قلَّما تتَّعظونَ حينَ تتركونَ دينَ اللَّهِ، وتتَّبعون غيرَهُ، مع أنَّ العِبَرَ في ذلك كثيرةٌ"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَوۡلِيَآءَۚ﴾: وَلِيَ: الواوُ واللَّامُ والياءُ: أَصْلٌ صحيحٌ، يدُلُّ على قُرْب، من ذلكَ الوَلْيُ: القُرْب، يُقالُ: تباعَدَ بعدَ ولي، أي: بعدَ قُرْبٍ، وجَلَسَ ممَّا يليني، أي: يُقاربُني. ومنَ البابِ المَوْلَى: المُعتِقُ والمُعتَقُ، والصَّاحبُ، والحليفُ، وابنُ العمِّ، والنَّاصرُ، والجارُ: كلُّ هؤلاء من الوَلْي، وهو القُرْب. وكُلُّ مَنْ وَلِيَ أمرَ آخرَ، فهو وَلِيُّهُ[3]، "﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، أي: يتولَّى نصرهم؛ لأنَّ حزبَهم هم الغالبون، ويتولَّى مجازاتَهم بالحُسْنى"[4]. والوليُّ خلاف العدوِّ، قال اللَّه تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [المائدة: 51]، وقال: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: 1]، أي: اتَّخذوهم أعداءً،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/196.
(2) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 204.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (ولَي).
(4) أبو إسحاق الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 1/427.

حتَّى لا تناصحوهم، وقيل: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أي: ناصرهم ومرشدهم، ومتكفِّل بأمورهم، كوليِّ الطِّفل يكفيه أموره"[1].

2) ﴿تَذَكَّرُونَ﴾: الذِّكرُ: تارةً يُقالُ ويُرادُ به هيئةٌ للنَّفْسِ، بها يمكنُ للإنسانِ أنْ يحفظَ ما يَقتنيه من المعرفة، وهو كالحِفْظِ إلَّا أنَّ الحفظَ يُقالُ اعْتبارًا بإحرازِه، والذِّكرُ يقالُ اعْتبارًا باسْتحضاره، وتارةً يُقالُ لحضورِ الشَّيءِ القلبَ أوِ القولَ، ولذلكَ قيل: الذِّكرُ ذِكْران: ذِكْرٌ بالقلب، وذِكْرٌ باللِّسان، وكلُّ واحدٍ منهما ضربان: ذكرٌ عن نسيان، وذكرٌ لا عن نِسْيان، بل عن إدامةِ الحفظ، وكلُّ قولٍ يُقال له ذِكْر.

فمن الذِّكرِ باللِّسان قولُه تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: 50]. ومن الذِّكر عن النِّسيان قولُه تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: 63]. ومن الذِّكرِ بالقلبِ واللِّسان معًا قولُه تعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: 200]، والذِّكرى: كثرةُ الذِّكر، وهو أبلغُ من الذِّكر، وهو المعنَى المرادُ في قولِه تعالى هنا: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الأمـرُ بِـاتِّـبـاع الـوحـي المـنـزلِ، وترك المعبوداتِ المتَّخذةِ من دونِ اللهِ

صُدِّرَ هذا الخطابُ الرَّبَّانيُّ بأمرٍ ثمَّ نهيٍ: الأوَّلُ أمرٌ من اللهِ لنبيِّه ﷺ ولأُمَّته، باتِّباعِ ما أنزلَهُ إليهم في هذا القرآنِ الكريم، لتكتملَ به تربيتُهم، وتتمَّ عليهم نعمتُه، وَيَهْتَدُوا بهدْيه لأحسنِ أعمالِهم وأخلاقِهم. والثَّاني نهيٌ لهم أن يتَّبعوا من دونِ القرآن غيرَه، يُلقُون إليه بزمامِهم، فيسوقُهم إلى تركِ الحقِّ، واتِّباعِ أهوائِهم. ويرشدُهم بيانُ اللهِ تعالى، أنَّهم لو تذكَّروا هاتَيْنِ الوصيَّتَيْنِ حقَّ

(1) أبو هلال العسكريّ، الوجوه والنّظائر، ص: 494.
(2) الرّاغب، المفردات: (ذكر).

التَّذكُّر، فلن يُؤثِروا ما يضرُّهم على ما ينفعُهم، ولن يَرْكَنُوا إلى عدوِّهم، ويَتَجَافَوْا عن وَليِّهم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الفَصْلِ وتركِ عطفِ الآيةِ عن سابقَتِها:

غرضُ استئنافِ الكلامِ بيانُ ما تقدَّمَهُ في السِّياقِ

قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، لم يأتِ هذا الصَّدرُ من الآيةِ معطوفًا على سابقِيها؛ لأنَّ المَقامَ مَقامُ بيانٍ لما تقدَّمَ من قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ بقرينةِ تذييلِها بقوله تعالى: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[2]، ولذلكَ فإنَّ قولَه تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم﴾، كلامٌ مستأنفٌ، خُوطِبَ به جَميعُ المكلَّفين بطريقِ التَّلوين[3].

دَلالةُ الأمرِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾:

توجُّهُ الأمرُ بالاتِّباعِ للرَّسولِ ﷺ والمؤمنينَ به والمشركين

الأمرُ بالاتِّباعِ يندرجُ فيه ثلاثُ جهات: الأولى: الرَّسولُ ﷺ، وقد نوَّهتِ الآيةُ السَّابقةُ بالكتابِ المُنزَّلِ إليه ﷺ.والثَّانيةُ: المشركونَ الَّذي أُنزلَ إليهمُ الزَّجرُ عن الشِّركِ والاحْتجاجُ على ضلالهم، ونوَّهتِ الآيةُ المتقدِّمةُ لذلك بقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾.الثَّالثةُ: المسلمونَ الَّذينَ أُنزل إليهم الأمرُ والنَّهيُ والتَّكليفُ، وجاءَ التَّنويهُ به في الآيةِ السَّابقةِ بقوله تعالى: ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، فكلُّ تلكِ الجهاتِ مأمورةٌ باتِّباع ما أُنزلَ إليها، والمقصودُ الأجدرُ، همُ المشركون، تعريضًا بأنَّهم كفروا بنعمةِ ربِّهم[4].

بلاغةُ الاستعارةِ في مادّةِ الاتّباع:

جمالُ الاستعارةِ في تشبيهِ المحسوسِ بالمعقول

يُستعارُ الاتِّباعُ للعملِ بأمرِ الآمر، نحوُ: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ٩٣﴾ [طه: 92 - 93]، وهو استعارةٌ

(1) الشَّوكاني، فتح القدير: 2/264، والسَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 237.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/14.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/197، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/319.
(4) الفرّاء، معاني القرآن: 1/371، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/319، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/15.

تمثيليَّةٌ مبنيَّةٌ على تشبيهِ حالتَيْن، ويُستعارُ للاقْتداءِ بسيرةٍ أو قولٍ، نحو: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ [البقرة: 168]، وهو اسْتعارَةٌ مُصرَّحةٌ تَنْبني على تشبيهِ المحسوسِ بالمعقول، كما في قولِه تعالى: ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: 50]، ومنه قولُه هنا: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[1].

نكتةُ عدمِ التَّصريحِ بالمخاطَبين في جملة ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم﴾:

الخطابُ يشْمَلُ جميعَ النَّاسِ مؤمنِهم وكافرِهم

جاءَ الأمرُ بوجوبِ الاتِّباعِ بقولِه: ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾ دونَ تعيينٍ للمخاطَبين، ليشملَ جميعَ النَّاس، كلٌّ يتَّبعُ ما هو به أَعْلَق، فالمشركون يتَّبعونَ ما أُنزلَ إليهم من الزَّجرِ عن الشِّرك، والمسلمون يتَّبعونَ ما أُنزلَ إليهم من الأوامر والنَّواهي والتَّكليف، فكلٌّ مأمورٌ باتِّباع ما أُنزلَ إليه[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بالاسْمِ الموصولِ ﴿مَآ﴾ عن الكتابِ:

هذا التَّعبيرُ يفيد ثبوتَ عمومِ الحكمِ المنزَّلِ بجميعِ آياتِ الكتابِ

وردَ اسمُ الموصول (ما) تعبيرًا عن عموم آيات الكتابِ الَّذي تقدَّمَ ذكرُه في الآيةِ السَّابقة ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾، ليدُلَّ على ثبوتِ الحُكْمِ المُنَزَّلِ بالكتابِ ابتداءً، وليكون أَوْلى بالرِّعايةِ والالْتزام، وهو الَّذي جاءَ التَّنويهُ به هنا بالكتابِ المُنَزَّلِ على رسولِ الله ﷺ، حاملًا معه بيانَ حكمةِ إنزاله للإنْذارِ والتَّذكير[3].

فائدةُ التَّعبيرِ بجملةِ الموصول ﴿أُنزِلَ إِلَيۡكُم﴾ عن القرآن:

أفادَ هذا التَّعبيرُ تأكيدَ اتِّباعِ القرآنِ دونَ غيرِه

أفادَ قولُه تعالى: ﴿أُنزِلَ إِلَيۡكُم﴾ وجوبَ اتِّباعِ القرآن حصْرًا لجميعِ النَّاس، وإن كان الخطابُ بقولِه: ﴿مِّنكُمۡ﴾، يعني: المسلمينَ ابتداءً، لكنَّه يشملُ غيرَهم. ودَالًّا كذلك على أنَّ كلَّ ما يُغايرُ الحكمَ الَّذي أنزلَ اللهُ في القرآن، فإنَّه لا يجوزُ اتِّباعُه[4].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/15.
(2) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 2/373، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/319، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/15.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/319، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/15.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/197.

نكتةُ بناءِ الفعلِ ﴿أُنزِلَ﴾ لِمَا لم يُسمَّ فاعلُه:

غرضُ البناءِ للمفعولِ الاهتمامُ بالمُنزَلِ ومادَّةِ الإنْزال

وردَ قولُه تعالى: ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم﴾ بصيغةِ النَّائبِ عنِ الفاعلِ، جريًا على سَنَنِ الكبرياء، ممَّا تقدَّمَه من قبلُ: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾، وللعلمِ بفاعلِ الإنزال؛ لأنَّ الَّذي يُنَزِّلُ الكُتُبَ على الرُّسُلِ هو اللَّهُ تعالى، وللاهْتمامِ بمادَّةِ الإنْزالِ مع الإشعارِ بأنَّها من الوحيِ لملائكة العوالمِ السَّماوية، وقد أكَّدَ هذه المعاني، قولُه تعالى من بعدُ: ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[1].

بلاغةُ تقديمِ شِبْهِ الجُملةِ ﴿إِلَيۡكُم﴾ في قوله ﴿إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾:

غرضُ السِّياقِ الاهتمامُ بالمخاطَبين، وحثُّهم على الامْتثالِ لشرعِ الله

تقدَّمَ الجارُّ والمجرورُ في قولِه تعالى: ﴿إِلَيۡكُم﴾، وجاءَ مُسنَدًا إلى قولِه: ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ ليكونَ في هذا التَّقديمِ والإسنادِ إلى وصفِ الرُّبوبيَّةِ مزيدُ لُطفٍ بالمخَاطَبينَ، واهتمامٌ بشأنِهم، وترغيبٌ لهم في الامْتثالِ بما أُمروا به، وتأكيدٌ لوجوبه[2].

فائدةُ العدولِ من ضميرِ المخَاطَبِ المفردِ إلى الجمعِ ﴿إِلَيۡكُم﴾:

المرادُ المخاطبونَ جميعُهم في دلالةِ الشُّمولِ والعذاب

في قولِه تعالى: ﴿إِلَيۡكُم﴾ تعميمٌ لمن أُنزِلَ إليهم الكتابُ، إذ همُ المُعوَّلُ عليهم في مادةِ الإنزال، سواءٌ أكانوا مشركين فيكونُ زجرًا لهم عن الشِّركِ وإقامةً للحُجَّةِ عليهم، أمْ كانوا مسلمين فيكونُ أمرًا لهم باتِّباعِ تفاصيلِ أوامرِه ونواهيه وأحكامهما، وممَّا يتضمَّنه التَّكليفُ[3].

مُتعلَّقُ قولِهِ تعالى: ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، ومعنى ﴿مِّن﴾:

تُعلَّقان: بـ(أُنزِلَ)، وبمحذوف حال، و(من) لابتداءِ الغاية

يجوزُ في متعلَّقِ قولِه تعالى: ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، وجهان: الأوَّل أنَّه مُتعلِّقٌ بـ﴿أُنزِلَ﴾، وتكونُ ﴿مِّن﴾ لابتداءِ الغايةِ المجازيَّة، والثَّاني: أنْ يتعلَّقَ بمحذوفٍ على أنَّه حالٌ؛ إمَّا من الموصول، وإمَّا من عائدِه القائمِ مقامَ الفاعل[4].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/317، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/12.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/211.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 9/15.
(4) العكبري، الإملاء: 1/268، والسَّمين الحلبي، الدُّرُّ المصون: 5/245.

نكتةُ مجيءِ لفظِ الرَّبِّ، وإضافتِه إلى ضميرِ (هم):

دعـوةٌ للعنايةِ بالمخـاطَـبين، وتحفيزِهم إلى امْـتِـثَـالِ أوامـرِ ربِّهم

في التَّعرُّضِ لوصفِ الرُّبوبيَّةِ مع الإضافةِ إلى ضميرِ المخاطَبين مزيدُ لطفٍ بهم وترغيبٌ لهم في الامْتثالِ بما أُمِرُوا، وتأكيدٌ لوجوبه، وجعلُ ما أُنزِلَ هَاهُنَا عامًّا للسُّنَّةِ القوليَّة والفعليَّة بُعيدَ نِعَمٍ يعمُّها حكمُهُ بطريقِ الدَّلالةِ لا بطريقِ العبادة[1].

بلاغةُ عطفِ النَّهي ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ﴾ على الأمرِ ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾:

في هذا العطفِ بيانُ أنَّ المُنْزَلَ واحـدٌ، والأمـرَ والنَّهيَ سواءٌ في الكلِّ

جاءَ النَّهيُ في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ﴾ عطفًا على الأمرِ ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾ تصريحًا بما تضمَّنه: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، لأنَّ فيما أُنزِلَ إليهم من ربِّهم يتضمَّن: أمرًا ونهيًا، فجاءَ الأمرُ أوَّلًا، ثمَّ أَرْدَفَه بالنَّهي عن اتِّباعِ غيره[2].

دَلالةُ النَّهي في قوله ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ﴾:

دلالَةُ النَّهي على تأكيـدِ مُقتضى الأمـرِ في الآيـةِ الكريمةِ

جاءتْ دَلالةُ النَّهي في ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ﴾، تأكيدًا لمقتضى الأمرِ باتِّباعِ ما أُنزِلَ إليهم، اهْتمامًا بهذا الجانبِ ممَّا أُنزِلَ إليهم، وتسجيلًا على المشركين وقطعًا لمعاذيرِهم، أن يقولوا: إنَّنا اتَّبعْنا ما أُنزِلَ إلينا، وما نرى أولياءنا إلَّا شفعاءَ لنا عندَ اللّه، فما نعبدُهم إلَّا ليُقرِّبونا إلى اللّهِ زُلْفَى، فكما أنَّ موقعَ ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾، موقعُ الفَصْلِ الجامعِ من الحدِّ، فموقعُ ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ﴾ موقعُ الفَصْلِ المانعِ من الحدِّ[3].

بلاغةُ الاستعارةِ في ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ﴾:

تَجَلِّي البيانِ في استعارةِ معنى الاتِّـبـاعِ وفي معنى الطَّلبِ والاتِّخاذِ

الاتِّباعُ في قولِه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ﴾، مستعارٌ في المعنَى الَّذي اسْتعملَ الاتِّباعَ في قوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، وذلكَ على تقديرِ: (لا تتَّبعوا ما يأتيكم من أولياءَ من دون اللّه)، فإنَّ المشركين يَنسُبونَ ما هم عليه من الدِّيانةِ الضَّالَّةِ إلى

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 3/211، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/15.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/15.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/15 - 16.

الآلهةِ الباطلة، أوْ إلى سَدَنة الآلهةِ وكُهَّانِها، ويمكنُ أن يكونَ الاتِّباعُ مُسْتعارًا للطَّلبِ والاتِّخاذ، أي: ولا تتَّخذُوا أولياءَ غيرَه، نحوَ قولِهم: هو يتَّبعُ زلَّةَ فُلانٍ، أي: يتطلَّبُها[1].

معنَى الحرف ﴿مِن﴾ في ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾:

(من) الابتدائيَّةُ لها دورٌ في دلالةِ السِّياقِ المتوخَّاةِ

﴿مِن﴾ في قولِه: ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ ابْتدائيَّةٌ، أي: من دونِ ربِّكم الَّذي أَنزلَ إليكم ما يَهديكم إلى الحقِّ[2]، وقوله: "﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: من دونِ ربِّكم الَّذي أنزل إليكم ما يهديكم إلى الحقِّ، ومحلُّه النَّصبُ على أنَّه حالٌ من (فافعل)، فعلُ النَّهي، أي: لا تتَّبعوا متجاوزين اللّه تعالى"[3].

متعلَّقُ ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ والمعنَى المُترتِّبُ عليه:

التَّعَلُّقُ بالفعلِ قبلَ ذلك، أو بالمحذوف يحدِّدُ الدِّلالةَ

قولُه تعالى: ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ له مُتعلَّقان[4]: الأوَّلُ: بالفعلِ قبلَه، والمعنَى: لا تَعدِلوا عنه إلى غيرِه من الشَّياطينِ والكُهَّان. والثَّاني: بمحذوف؛ لأنَّهُ كانَ في الأصلِ صفةً لأولياء، فلمَّا تقدَّمَ؛ نُصِبَ حالًا[5]، والمعنَى: لاتَتولَّوْا من دونِه من شياطينِ الإنسِ والجنِّ، فيحملُوكم على الأهواءِ والبِدَع، ويُضِلُّوكُمْ عن دينِ اللّهِ، وما أَنزلَ إليكم، وأَمرَكم باتِّباعِه[6].

عَوْدُ الضَّميرِ في قولِهِ تعالى: ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾:

يعودُ الضَّميرُ على: (رَبِّكُم)، أو (ما)، أو الكتابِ المُنْزَلِ

في عَوْدِ الضَّميرِ في ﴿دُونِهِۦٓ﴾ ثلاثةُ أَوجهٍ: الأوَّلُ: أنْ يعودَ على ﴿رَّبِّكُمْ﴾؛ وهو الظَّاهر[7]. والثَّاني: على ﴿مَآ﴾ الموصولة. والثَّالث: على الكتاب المُنْزَلِ، والمعنَى: لا تعدِلُوا عنه إلى الكُتُبِ المنسوخة[8].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/16.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/319، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/16.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/211.
(4) السَّمين الحلبي، الدُّرُّ المصون: 5/245.
(5) العكبريّ، الإملاء: 1/268.
(6) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/66.
(7) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/66، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/319.
(8) السَّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/245 - 246.

نكتةُ تقديمِ شِبْهِ الجملةِ ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ على المفعولِ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾:

غرضُ التَّقديمِ التَّنفيرُ من اتِّباعِ أهلِ الزَّيْغِ والضَّلالِ

جاءَ هذا التَّقديمُ وحقُّه التَّأخير، أي: ولا تتَّبعوا أولياءَ من دونِه؛ لأنَّ الغرضَ بيانُ حالِ من يتَّبعُهمُ المشركون من شياطينِ الإنسِ والجنِّ في ضلالاتهم وبِدَعِهم، للتَّنفيرِ منهم، وتَكْبِ طريقِهم في الدُّنيا، قبلَ التَّبرُّؤِ منهم في الآخرةِ، يومَ لا ينفعُهم ذاك التبرُّؤ، كما قالَ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ [البقرة: 167][1].

نكتةُ الاستِعارةِ في قوله تعالى: ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾:

سرُّ التَّعبيرِ بالدُّونِ عن التَّركِ لعبادةِ اللهِ والإعراضِ عن أوامرِه

قولُه تعالى: ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ اسْتعارةٌ للتَّرْكِ والإعراض، فإنَّ المشركينَ اتَّبعوا الأصنامَ بعبادتِها، أو نسبةِ الدِّين إليها، وكلُّ عملٍ عملوه امْتثالًا لأمرٍ يُنسَبُ إلى الأصنام؛ فهم عند عملِه يكونون متَّبعينَ اتِّباعًا فيه إعراضٌ عنِ اللهِ، وتركٌ للتقرُّب إليه، فيكونُ اتِّباعًا من دونِ اللهِ[2].

بلاغةُ اسْتعارةِ لفظ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ لآلهتِهم:

جسَّدتْ (أَوْلياء) الموالاة لجميعِ أصنافِ آلهةِ المشركين وأنواعِها

جاء قوله: ﴿أَوْلِيَآءَۚ﴾ تعبيرًا عن أيِّ اتِّباعٍ من دون اللهِ، أي: فيه إعراضٌ عن اللهِ وتركٌ للتقرُّب إليه، وبهذا النَّهي عن اتِّخاذِ أيٍّ من دونِ اللهِ وليًّا، سُدَّتْ على المشركين جميعُ أبوابِ الشِّركِ وتأويلاته، كقولِهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمر: 3]، فقد جاءَ قولُه: ﴿أَوْلِيَآءَۚ﴾ مع ما سبقه بقولِه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ في أعلى درجةٍ من الإيجازِ واسْتيعابِ المقصود[3].

نكتةُ العُدولِ عن أسلوبِ القَصْرِ:

أفادَ مجموعُ قولِه تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/16 - 17.
(2) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/66، والعكبريّ، الإملاء: 1/268، والسَّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/245.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/17.

تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾، مُفَادَ صيغةِ قَصْر، كأنَّه قال: (لا تتَّبعوا إلَّا ما أمَرَ به ربُّكم)، أي: دون ما يأمرُكم به أولياؤكم، فعَدَلَ عن طريقةِ القَصْرِ هذه؛ لتكونَ جملةُ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ مُستقلَّةً صريحةَ الدَّلالةِ، اهْتِمامًا بمضمونها الَّذي هو المقصدُ الأسْنَى من سَوْقِها وسِياقها[1].

سـرُّ الـعـدولِ لتحقيقِ المرادِ، غايتهُ نَفْيُ أيِّ وليٍّ من دونِ اللهِ

الموقعُ النَّحْويُّ للفظ ﴿قَلِيلًا﴾:

قولُه تعالى: ﴿قَلِيلًا﴾ فيها وجهان إعرابيَّان: الأوَّلُ: صِفَةُ مصدرٍ محذوفٍ، دلَّ عليه ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، أي: تذكَّرونَ تذكُّرًا قليلًا تذكَّرون. والثَّاني: صفةُ ظرفِ زمانٍ محذوف أيضًا، أي: زمانًا قليلًا تذكَّرون لا كثيرًا[2].

لـفـظُ (قـلـيـلا) يـتـنـوَّعُ موقعُهُ بينَ صفةِ المصدرِ أو ظرفِ الزَّمانِ

الموقعُ البيانيُّ لقوله تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾:

جملةُ ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ جملةٌ حاليَّةٌ من قوله: ﴿لَا تَتَّبِعُواْ﴾، وهي حالٌ سببيَّةٌ وكاشفةٌ لصاحبها، وليستْ مقيِّدةً للنَّهي، لظهورِ أنَّ المتَّبعين أولياءَ من دون اللهِ ليسوا إلَّا قليلي التَّذكُّر، ويجوزُ أن تكونَ هذه الجملةُ اعتراضًا تَذْييليًّا[3].

الـجـمـلَـةُ إمَّـا حَـالِـيَّـةٌ سَـبَـبِـيَّـةٌ كَـاشِـفَـةٌ، أوِ اعْـتِـرَاضٌ تَـذْيِـيـلِـيٌّ فِي السِّيَاقِ

بلاغةُ لفظِ ﴿قَلِيلًا﴾ في سياقِ الآيةِ الكريمةِ:

لفظُ ﴿قَلِيلًا﴾ يجوزُ أنْ يُحمَلَ على حقيقته؛ لأنَّهم قد يتذكَّرون ثمَّ يُعرِضونَ عن التَّذكُّرِ في أكثرِ أحوالِهم، فهم في غفلةٍ مُعرِضون، ويجوزُ أن يكونَ ﴿قَلِيلًا﴾، مُستعارًا لمعنَى النَّفي والعَدَمِ على وجهِ التَّلميح[4]، كقولِه تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾ [البقرة: 88]واستعمالُ ﴿قَلِيلًا﴾ هنا في العدَمِ هو على طريقةِ التَّهكُّم بالمضيِّعِ للأمرِ على

تنوُّعُ لفظِ (قليلا) بين الحقيقةِ، أو الاستعارةِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/17.

(2) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/66، والسّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/246، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 2/320.

(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 2/320، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/17.

(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 2/320، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/17.

خَطئه، وإنَّه وإنْ كانَ في ذلكَ تفريطٌ، فلا ينبغي أن يتجاوزَ حدَّ التَّقليلِ دون التَّضييعِ له كلِّهِ[1].

معنى ﴿مَّا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾:

المصدريَّةُ أو الزِّيادة للتَّأكيد

﴿مَّا﴾ مصدريَّةٌ موصولةٌ بالفعلِ بعدَها، والتَّقدير: (قليلًا تذكُّركم)[2]، ويمكنُ أن تكون ﴿مَّا﴾ المصدريَّةُ وما بعدَها بتأويلِ مصدرٍ مبتدأٍ مؤخَّرًا، والتَّقديرُ: زمنًا قليلًا تذكُّركم، أي: إنَّهم لا يقعُ تَذَكُّرُهُمْ إلَّا في بعضِ الأحيان، ويمكنُ أن تكونَ ﴿مَّا﴾ مزيدةً لتوكيدِ القِلَّة[3]، وقد قيل: إنَّ ﴿مَّا﴾ هذه نافيةٌ، وهو بعيدٌ؛ لأنَّ ﴿مَّا﴾ لا يعملُ بعدَها فيما قبلَها عند البصريِّين، وعلى تقديرِ تسليم ذلك، فيصيرُ المعنَى: ما تذكَّرون قليلًا، وليس بطائل[4].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالفعل المضارعِ في قوله: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾:

أفادَ الفعلُ بصيغةِ (تفعّلون) دَيْمومةَ الغَفْلةِ والإعراض عن الحقِّ

الفعلُ المضارعُ يفيدُ التَّجدُّدَ والاستمراريَّة، وهو المعنَى في ﴿تَذَكَّرُونَ﴾، لكنَّ إسنادَ ﴿قَلِيلًا﴾ إليه، أفْقَدَه دَيْمومةَ التَّذكُّر، وصيَّره إلى معنَى أنَّهم قد يتذكَّرونَ، ثمَّ يُعرِضونَ عن التَّذكُّرِ في جُلِّ أحوالهم، وهذا يعني: أنَّهم في الحقيقةِ مستمرُّون في غفلتِهم، دائمون في إعراضِهم[5].

بلاغةُ الالْتفاتِ في قراءة (يتذكَّرون):

أعرضَ بيانُ اللهِ عن الكافرين، كما أعرَضوا هم عنِ الله

جاءتْ قراءةُ (يتذكَّرون) - بتحتيَّةٍ في أوَّله ثمَّ فوقيَّةٍ[6]. على طريقةِ الالْتفاتِ من الخطابِ إلى الغَيْبة، حيث أَعْرَضَ عنهم، ووجَّه

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/18.
(2) ابن عطيّة، المحرَّر الوجيز: 2/373، والسّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/246.
(3) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 2/66، والشَّوكاني، فتح القدير: 2/264.
(4) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/246.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/17.
(6) هي قراءة ابن عامر، وقرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ وقرأ الباقون: ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾، ينظر: محمّد كريّم راجح، القراءات العشر المتواترة، ص: 151.

الكلام على غيرِهم من السَّامعين إلى النَّبيِّ ﷺ والمسلمين[1]. وفي هذا الالْتفاتِ إيْذَانٌ باقْتضاءِ سُوءِ حالِهم في عدمِ الامْتثالِ بالأمرِ والنَّهي، وفي صرفِ الخطابِ عنهم وحكايةِ جناياتِهم لغيرِهم؛ ازدراءً بهم وبحالهم، فهم أقلُّ شأنًا، وأوْضَعُ مكانةً عندَ مُخاطِبِهم، ليُوجِّهَ لهم خطابَه مباشرةً[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(أَوْلِياء) و(شُركاء) و(أَنْداد) و(آلهة):

اسْتخدامُ (أَوْلِياء) في السِّياقِ، أعمُّ دَلالةً في أيِّ ولايةٍ غيرِ ولايةِ اللهِ

الوَلاءُ والتَّوالي: أنْ يحصُلَ شيئان فصاعدًا، حصولًا ليس بينَهما ما ليس منهما، ويُستعارُ ذلك للقُربِ، من حيث المكانُ، ومن حيث النِّسبةُ، ومن حيث الدِّينُ، ومن حيث الصَّداقةُ والنُّصرةُ والاعْتقاد.

ونفى اللهُ الولايةَ بين المؤمنين والكافرين في غيرِ آية، قالَ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: 1]، ومنه الآيةُ الَّتي معنا: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾[3].

ولفظ شُركاء، من الشِّركة والمُشارَكة، وهي خلطُ المِلْكَيْن، وقيل: هو أنْ يوجدَ شيءٌ لاثْنَيْن فصاعدًا، عينًا كان ذلكَ الشَّيء، أو معنًى، قالَ تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ۝٣٢﴾ [طه: 32]، وجمعُ الشَّريك: شُركاء، قال تعالى: ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ﴾ [الزُّمر: 29][4].

أمّا (الإلَهُ) فهو المعبودُ، وإلَهٌ حقُّهُ ألَّا يُجمَعَ؛ إذْ لا معبودَ سوى اللهِ، لكنَّ العربَ استعملوا اللفظ جمعًا، فقالوا: الآلهة، وقالَ تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ [الأنبياء: 43][5].

وبالنَّظرِ في الفروقِ بين تلكُمُ المفرداتِ السَّابقةِ، يظهرُ جليًّا أنَّ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/198، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 8/18.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 3/211.
(3) الرّاغب، المفردات، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (ولي).
(4) الرّاغب، المفردات، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (شرك).
(5) الرّاغب، المفردات، والرّازي، مختار الصّحاح: (أله).

كلمةَ ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾، أَوْلى من غيرِها، ممَّا يُقاربُها في المعنَى، ولكنَّه لا يُحقِّقُ المرادَ من السِّياق، فليس المقصودُ من النَّهي الواردِ بقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ النَّهيَ عن النِّدِّيَّةِ أو الشَّراكةِ أوِ الآلهة، وإنَّما المرادُ النَّهيُ عن اتِّباعِ أيِّ وِلايةٍ غيرِ وِلايةِ اللهِ، فيما أنزلَ في الكتاب مِنْ دينِهِ وشريعتِهِ وأحكامِه.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 12 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-64-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 12 : سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-64-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»